

تجليات الأسطورة من خلال الأمثال الشعبية في منطقة الشرق الجزائري - دراسة أسطورية -

The manifestations of legend through popular proverbs in the Algerian eastern region - a mythological study-

تاريخ الاستلام : 2020/05/11 ؛ تاريخ القبول : 2023/03/26

ملخص

تشغل الأساطير حيزا كبيرا في التراث الشعبي الجزائري المادي منه وغير المادي، إذ نجد الأسطورة تتجلى في الصور والرسومات والنقوش الموجودة على الصخور وجدران البيوت والمعابد ، كما نجدها ماثلة على الأواني الفخارية والخزفية، ونجدها كذلك على اللباس التقليدي والزراعي والمفروشات... الخ، ولقد تأسس بحثنا على صور حضور الأساطير وطرق توظيفها لدى ساكنة الشرق الجزائري، كما نبحت عن الدلالات التي تحملها تلك الأساطير، والقيم التي تغرسها، متخذين من المثل الشعبي مجالاً للدراسة والبحث بسبب حضوره اليومي وهيمنته على أشكال التعبير الشعبي الجزائري.

الكلمات المفتاحية: أسطورة، تراث شعبي مادي، تراث شعبي لا مادي، مثل شعبي، تجليات الرمز

1 * حنان عقون

2 صالح جديد

1 مخبر التراث والدراسات اللسانية، كلية الآداب واللغات، جامعة الشاذلي بن جديد الطارف

2 مخبر التراث والدراسات اللسانية، كلية الآداب واللغات، جامعة الشاذلي بن جديد الطارف

Abstract

Myths occupy a large place in the Algerian popular heritage, both tangible and intangible, as we find the legend that manifests itself in images, drawings and engravings on the rocks and walls of houses and temples, as we find examples of pottery and porcelain utensils, and we also find them on traditional clothing and carpets and furniture ... etc., and this has been established We searched for images of the presence of myths and the way in which they are used by the inhabitants of eastern Algeria, and we are looking for the indications that these myths carry, and the values which inculcate them, taking the popular example as a field of study and research because of its daily presence and its dominance of Algerian popular forms of expression.

Keywords: Legend, tangible folklore, tangible folk heritage, such as folklore, symbol manifestations

Résumé

Les mythes occupent une grande place dans le patrimoine populaire algérien, à la fois tangible et intangible, comme nous trouvons la légende qui se manifeste dans les images, les dessins et les gravures sur les rochers et les murs des maisons et des temples, comme nous trouvons des exemples d'ustensiles de poterie et de porcelaine, et nous les trouvons également sur les vêtements traditionnels et les tapis et les meubles ... etc., et cela a été établi Nous avons recherché des images de la présence des mythes et de la manière dont ils sont employés par les habitants de l'Est algérien, et nous recherchons les indications que ces mythes portent, et les valeurs qui les inculquent, en prenant l'exemple populaire comme champ d'étude et de recherche en raison de sa présence quotidienne et de sa domination des formes d'expression populaire algérienne.

Mots clés: Légende, folklore tangible, patrimoine tangible folklorique, comme le folklore, manifestations de symboles

* Corresponding author, e-mail: djedidsalah24@gmail.com

I - مقدمة

تعدّ الأساطير بكلّ تمظهراتها من كنوز المعرفة الإنسانية التي لا تقدّر بثمن، لذلك شكلت مصدرا خصبا من مصادر دراسة نمط تفكير الشعوب ورؤيتها للكون، ومعرفة مواقفها من القضايا الجوهرية التي عانت منها وشغلها ردا من الزمن، كالموت والخلود المقدّس، والحياة الأخرى، ومسألة الخلق، وغيرها من القضايا التي شكلت بدايات النشاط العقلي للإنسان المتفكر.

و بما أن الثقافة هي روح المجتمع وتاريخه التي تمتاز بخصائص ومقومات، ولعلّ أبرز هذه المقومات هو موروثها الشعبي المادي واللامادي، الذي يشكل ثقافة شعبية ممتدة وموغلّة في القدم، أتاحت لها التمازج مع الثقافات الأخرى التي ميزها فكر شائع يمتدّ بجذوره التي تربط بين الماضي السحيق والحاضر المعاش عبر محطات تاريخية ميزت مراحل تطور الفكر الإنساني، فكانت الأسطورة سمة بارزة في جميع هذه المحطات، وهذا ما سنحاول الكشف عنه من خلال البحث عن تجليات الأسطورة في هذه الثقافة الشعبية في شقها اللامادي؛ فأى بحث في الثقافة هو بالضرورة بحث في المخيال الذي أتاح ظهورها وأمدّها بعناصرها، وكان الرحم الحاضن لنشأتها بجميع تمظهراتها التي سنركز فيها على نماذج من المثل الشعبي، ورصد هذا التعلّق الحضاري بين الشعوب ومدى تواجده والتحامه، وإن كانت من نقاط فرقة واختلاف فما هي؟ وما مدى مطاوعة العنصر الأسطوري الموظف فيها؟.

وقبل الغوص في كل هذه الإشكالات، رأينا أن نبسط ولو بإيجاز لأهم المفاهيم المرتبطة بالدراسة.

أولا/ مفاهيم الأسطورة :

أ) مفهوم الأسطورة في المعاجم العربية : لغة: تذهب جل التعريفات المعجمية العربية إلى أن الأسطورة في مفهومها اللغوي مصدر من سطر يسطر إذا كتب، فقد جاء في لسان العرب مادة " سطر": السطر و السطر : الصّف من الكتاب و الشجر و النخل و نحوها و الجمع من كل ذلك أسطر وإسطار و أساطير، عن اللحياني و سطور، و يقال : بنى سطرًا و غرس سطرًا ، و السطر: الخط و الكتابة. و قال الزجاج في قوله تعالى : " و قالوا أساطير الأولين " خبر الابتداء محذوف ، و الأساطير : أحاديث لا نظام لها. و أحدثها إسطار و إسطارة بالكسر و أسطير و أسطيرة و أسطور و أسطورة بالضم⁽¹⁾.

و سطرها : ألفها : و سطر علينا : أتانا بالأساطير الليث : يقال سطر فلان علينا يسطر، إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل يقال: سطر فلان على فلان إذا زخرف له الأقاويل ونمقها وتلك الأقاويل الأساطير والسطر⁽²⁾، ولا تخرج المعاني التي جاءت في مقاييس اللغة عن المعاني السابقة، فالسين و الطاء و الراء أصل مطرد يدل على اصطفاة الشيء كالكتاب والشجر و كل شيء اصطف. فأما الأساطير فكأنها أشياء كتبت من الباطل فصار ذلك اسما لها. مخصوصا بها، يقال سطر فلان علينا تسطيرا، إذا جاء بالأباطيل. و واحد الأساطير أسطار و أسطورة⁽³⁾.

إن هذه الإشارات اللغوية المعجمية التي حددت مفهوم لفظ الأسطورة في المعاجم العربية القديمة، نجدها قد ركزت في هذه التعاريف على ما جاء في القرآن الكريم في معنى هذا اللفظ من السطر؛ أي الكتابة إلى غاية اعتبار الأساطير أحاديث لا نظام لها و أكاذيب و أقاويل، فمنطلق هؤلاء اللغويين منطلق ديني، اعتمدوا في تعريفهم لهذه اللفظة على ما جاءت به النصوص القرآنية التي وردت فيها لفظ الأسطورة، ومنها الآيات التالية: يقول الله تعالى: " ن و القلم و ما يسطرون"⁽⁴⁾. "يقول الذين طغوا إن

هذا إلا أساطير الأولين"⁽⁵⁾، " لو شاء لقلنا مثل هذا، إن هذا إلا أساطير الأولين "⁽⁶⁾. " و إذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا: أساطير الأولين "⁽⁷⁾، " لقد وعدنا نحن و أبائنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين "⁽⁸⁾، " و قالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة و أصيلا "⁽⁹⁾، " آمن أن وعد الله حق فيقول: ما هذا إلا أساطير الأولين "⁽¹⁰⁾.

إن المتتبع لما ذهب إليه المعاجم العربية في قراءتها للأسطورة بأنها أباطيل و أحاديث عجيبة، راجع إلى مضمون الأسطورة، الذي بني في أغلبه على تعدد الآلهة، لذا نجد أن اللغويين العرب قد ربطوا تعاريفهم لهذا المصطلح بتصوراتهم الدينية، والاعتقادية النابعة من روح الإسلام و عقيدة التوحيد " وحدانية الله"، وهذا ما يؤكد الباحث محمد عجينة في قوله: " أن هذا المدلول الديني الذي وردت عليه في الآيات التي تكررت زهاء تسع مرات في القرآن الكريم حكاية عن كفار قريش حين رفضوا ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من رسالة سماوية "⁽¹¹⁾.

ب- مفهوم الأسطورة في المعاجم الأجنبية mythe :

إن كلمة mythe في اللغة الانجليزية أو الفرنسية أو غيرها مشتقة من الأصل اليوناني Muthos التي تعني " حكاية تقليدية عن الآلهة و الأبطال "⁽¹²⁾. وفي القاموس الفرنسي la rousse جاءت الأسطورة بمعنى : " قصة تضم كائنات خارقة و إجراءات خيالية التي تنقل الأحداث التاريخية " ⁽¹³⁾. ليتسع المفهوم قليلا في المعجم الإنجليزي Oxford dictionary بأنها : " قصة تقليدية خاصة فيما يتعلق بالتاريخ المبكر للناس، أو شرح الظواهر الطبيعية و الاجتماعية و عادة ما تنطوي على كائنات أو أحداث خارقة "⁽¹⁴⁾.

ج/ مفهوم الأسطورة اصطلاحا :

إن الأسطورة ليست إضافة زائدة إلى الفكر الإنساني بل يمكن اعتبارها ظاهرة من ظواهر الوجود الإنساني. و على ضوء هذا يمكن القول إن الأسطورة هي جزء من ضمير الأمة و ذاكرتها و مسارها الفكري، فوجهة نظر الدارسين في العصر الحديث ممن تخصص في دراسة الأسطورة تخالف ما انتهت إليه المعاجم اللغوية في معنى هذه الأخيرة، حيث حاولوا التعمق في الفهم و الدراسة العلمية لكلمة أسطورة و ما تحمله من معاني، فنجد الباحث ميرسيا الياد قد حاول ضبط تعريف للأسطورة يكون أقل التعريفات نقصا و يكون أوسعها و أشملها دلالة، حيث قال: " الأسطورة تروي تاريخا مقدسا، تروي حدثا جرى في الزمن البدئي الخيالي، و هو زمن (البدايات)، بعبارة أخرى تحكي لنا الأسطورة كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود " و يضيف : " هي دائما ترد لحكاية " خلق " : تحكي لنا كيف كان إنتاج شيء، كيف بدا وجوده (...) أما أشخاص الأساطير ف " كائنات عليا "⁽¹⁵⁾.

ويقول فراس السواح في تعريفه المبدئي للأسطورة " إن الأسطورة هي حكاية تقليدية تلعب الكائنات الماورائية أدوارها الرئيسية "⁽¹⁶⁾. و يرى أن هذا التعريف يشترك مع عديد الأجناس الأخرى التي ينطبق عليها هذا التعريف كالخرافة، و القصاص البطولي، و الحكايات الشعبية وغيرها. و يضيف سعد عبد الوهاب رؤيته الفلسفية و الجمالية في دراسته للأسطورة قوله: " إن إدراكنا للأسطورة يحتم علينا دائما أن نتمرس بالنظرة الاستبطانية للأشياء ... تلك النظرة التي تكشف لنا صور هذه الأشياء، و تعيننا على إدراك الوجود إدراكا تأمليا ميتافيزيقيا. ولهذا ترى الفلسفة أن كل ما تحمله الأسطورة من صور و رموز إنما لا بد أن تحتوي معنى فلسفيا عميقا ... فإذا كانت الأسطورة تخفي هذا المعنى و تطويه فمهمة الفلسفة هنا أن ترفع عن كل ما هو مستتر و أن تقوم بعملية تفسير لهذه الرموز "⁽¹⁷⁾، إن هذا القول يدفعنا للتأمل في الرموز الأسطورية و إدراك بعدها الميتافيزيقي بعيدا عن السطحية و الساذجة ، فالأسطورة في نظره وسيلة تعيننا على فهم و إدراك الوجود من خلال صورها و رموزها.

لينقل لنا الباحث عبد الباسط سيدي عدة آراء قيلت لباحثين و مفكرين غربيين حول تعريف الأسطورة نذكر منها : (قول مالمونفيسكي: الذي رأى " أنها ركن أساسي من أركان الحضارة الإنسانية تنظم المعتقدات، و تعززها و تصون المبادئ الأخلاقية، و تقوّمها و تضمن فعالية الطقوس و تنطوي على قوانين عملية لحماية الإنسان " كما يرى كارل غوستاف يونغ أن الأسطورة تنير جوانب النفس الإنسانية و أن المجتمع الذي يفقد أساطيره بدائيا كان أم متحضرا، يعاني كارثة أخلاقية تعادل فقدان الإنسان لروحه، أما أرنست كاسيرر فيؤكد بأن الأسطورة تمثل قوّة أساسية في تطوّر الحضارة الإنسانية، عبّر الإنسان من خلال رموزها عن اهتمامه و تطلعاته، و قد وجد أنّها تكوّن مع اللّغة و الفن الديني صورا حضارية ، تدعها طاقة الإنسان الرمزية"(18).

و خلاصة القول في تعريف الأسطورة كما ذهب إليه محمد معيد خان أن العلماء ذهبوا في تعريف الأسطورة مذاهب شتى فمنهم من رأى في الأساطير حكايات القدماء في الدين مثل زينو فانيس (xenophqnes)، و رأى سقراط أن صفات الآلهة يمكن اكتشافها من تحليل أسماء الأصنام، و منهم من ذهب إلى استنباط فلسفة الأولين منها مثل تياجس (theagens)، الذي سلك مسلك أصحاب التشبيه و المجاز، فقال مثلا: " إن المقاتلة بين الآلهة ليست بمقاتلة حقيقية بل يعبر عنها عن التنازع بين عناصر مختلفة مثل الهواء و الماء، و النار و التراب، أو بين عواطف نفسانية مثل الحب و الحرارة، و منهم من قال إن الأسطورة هي التاريخ في صورة متنكرة (euhermerus). و من هنا يظهر أن كل واحد من العلماء اختار نوعا من أنواع الأساطير و لم يضع تعريفا جامعاً مانعاً للأساطير لأسرها"(19).

ثانيا/ تجلي الأسطورة في المثل الشعبي:

-تعريف المثل:

أ- لغة: وردت للمثل معان متعددة في المعاجم المختلفة، فقد جاء في لسان العرب، الذي أسهب في شرح مادة "مثل" أنها بمعنى تسوية " يقال هذا مَثَلٌ ومِثْلُهُ كما يقال شبيهه وشبهه، والتساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص، والمِثْلُ الشبه يقال مِثْل ومِثْل وشبهه وشبهه بمعنى واحد. والمثل الشيء الذي يضرب لشيء مثلا فيجعل مثله"(20)، و عرفه صاحب مقاييس اللغة: مثل، الميم والثاء واللام، أصل صحيح، يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا؛ أي نظيره، والمثل والمثال في معنى واحد وربما قالوا مثيل كشيء، تقول العرب: أمثل السلطان فلانا، قتله قودا، والمعنى أنه فعل به مثل ما كان فعله، وجمع أمثال، أمثلة، والمثال الفراش والجمع مُثْل وهو شيء يماثل ما تحته أو فوقه، وفلان أمثل بني فلان: أدناهم للخير؛ أي إنه مماثل لأهل الصلاح والخير، وهؤلاء أمائل القوم أي أخيارهم"(21)، الملاحظ أن معاني المثل تعددت في المعاجم القديمة ما بين الشبه والنظير، والصفة والعبرة والحديث والجملة المقطوعة، ومما نبه إليه ابن فارس في معجمه أن المِثْل والمَثَل يدلان على معنى واحد وهو كون شيء نظيرا لشيء آخر تقوم العلاقة بينهما على المشابهة.

ثالثا- تعريف المثل الشعبي:

يتكون المثل الشعبي من لفظين: مثل و شعبي، حيث يشكل هذا المنتج الإبداعي الشعبي خلاصة لتجربة واقعية عاشها الإنسان ويحمل في ثناياه معرفة الإنسان لنفسه وللآخرين وللعالم من حوله، وهو وجه مشرق من وجوه التراث الوطني المعبر عن شخصية الأمة، وعن أحلامها وهمومها، وتناقضات حياتها، وبما أن المثل الشعبي أحد عناصر الأدب الشعبي فإن تعريفه قد اختلف من دارس إلى آخر حسب نظرة كل واحد منهم. فنجد أحمد رشدي صالح في كتابه "فنون الأدب الشعبي" يعرفه بقوله: " يعتبر الفولكلوريون المثل واللغز أكمل النماذج على عبقرية الفلاحين وبلاغتهم"(22)، ويعرفه أحمد أمين بقوله: " المثل الشعبي نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ وحسن

المعنى، ولطف التشبيه، وجودة الكناية، ولا تكاد تخلو منه أمة من الأمم، ومزية الأمثال أنها تنبع من كل طبقات الشعب⁽²³⁾.

رابعا- خصائص المثل الشعبي:

تتعدد خصائص المثل الشعبي وتختلف بين المهتمين والمشتغلين عليه، وقد لخصت لنا الباحثة نبيلة إبراهيم خصائص المثل فيما يلي:

"-المثل خلاصة التجارب ومحصول الخبرة.

-المثل يحتوي على معنى يصيب التجربة والفكر في الصميم.

-المثل يتمثل فيه الإيجاز وجمال البلاغة⁽²⁴⁾.

ومن الخصائص أيضا التي تتبعها نبيلة إبراهيم في تعريف "فريدريك زايلر" للمثل في كتابه "علم الأمثال الألمانية" ما يلي: "

1- أنه ذو طابع شعبي

2- أنه ذو طابع تعليمي

3- ذو شكل أدبي مكتمل

4- يسمو عن الكلام المؤلف رغم أنه يعيش في أفواه الشعب⁽²⁵⁾.

إضافة إلى خاصية التناقض الظاهري أو التعدد في طرح موضوع واحد كموضوع الصداقة مثلا "خوك خوك لا يغرك صاحبك" ففي هذا المثل تفضل القرابة على الصداقة، أما في المثل القائل "خوك من واثاك مش غير من أمك وباباك" هنا تفضيل للصداقة والارتقاء بها إلى مرتبة الأخوة.

من خلال ما تم عرضه لخصائص المثل التي تنوعت يمكن القول: إن المثل الشعبي يقوم بدور هام في حياة الفرد لما يحمله من خصائص تجعله ذا مكانة في حياة الفرد و المجتمع بجميع تناقضاته وتعقيداته .

وقد وقفنا على بعض الأمثال الشعبية التي سجلناها من منطقة الشرق الجزائري،

والتي تتضمن بعض المظاهر الأسطورية، نذكر من تلك الأمثال على سبيل الذكر لا الحصر:

- خوك من والاك مش غير من أمك وباباك

- المال يغدى ما بين الصحاب ولأ النساب

- نسيك ناورو ولا تجاورو

- كي تتفاهم الكنة والعمة يدخل إبليس الجنة

- اللي فاتك بليلة فاتك بحيلة

- الطول للشجر والهبر للبقر

- مد رجلك على قد الخطوة

- وصية الميت عند رجليه

- ماصح وجه الطلاب قالوا ماشفتيش اللي ما يمدش

- كون ما نعرفكش أغروب بلادي أنقول عليك بانان

- بات ليلة مع الدجاج صبح ابقاقي

- انتفخي يا مصرانة اتفشي في الكانون

- جا يكحلها اعماها

- دبرها على النادر وقول سيدي عبد القادر

- اقلب البرمة على فمها تطلع البنية لامها

- البنات على الأمات

- المليانة ما تتكلمش تتكلم الفارغة
- ولد الفار حفار ولد القط شغمار
- اللي فاته الحديث أيقول سمعت واللي فاته العشا يقول شبع
- ما ادخل يدك في المغاغر ما تقرصك الحناش
- ما يعجبك نوار الدفلة حتى اتشوف الظلايل وما يعجبك زين الطفلة حتى تشوف
الفعاليل
- القد قد فولة والصوت صوت غولة
- كان زهرك حواج لواج بينو في الدجاج
- تكسرت القلة وقعد خطاها وماتت الضرة وابقى ضناها
- الدنيا سعود مش ضرب زنود
- المزوق من برة واش حوالك من داخل
- الفوخ والزوخ والعشا تاقرنينة
- خافت في القمره هربت في الظلمة
- العود اللي تحقره يعميك
- فوت على واد هرهار وما تفوتش على واد ساكوتي
- اللوم بعد القضا بدعة
- احرت الأرض القريبة واتزوج المرا البعيدة
- خوذ الطريق الصحيحة ولو دايرة وخوذ بنت العم ولو بايرة

إن الأمثال الشعبية هي عصارة تجارب الحياة التي عاشها أسلافنا، فهي تربي في نفوسنا كيفية التعامل مع غيرنا في الحياة الاجتماعية التي نعيشها، فهي مرآة صافية لحياة الشعوب تنعكس عليها عاداتها وتقاليدها، وسلوك أفرادها في رقيها، وانحطاطها ونعيمها وبؤسها وآدابها الاجتماعية، فكما يقال: بالأمثال يتضح المقال، فهو يجلب الاهتمام ويوضح المقصود أو يؤكد، أو يحيل على ما يعنيه، وهذا ما تسعى إليه الدراسات الحديثة التي تجعل من النص الواحد جملة من النصوص باعتبار ما يحمله الواحد منها من معنى ظاهر ومعنى خفي (أو معان خفية)، وهذا ما سنحاول الكشف عنه في هذه الوقفة التحليلية لرصد تجليات الأسطورة في المثل الشعبي، وقد اخترنا مثلين أحدهما منتشر بإقليم الساحل لمنطقة الشرق الجزائري، والآخر مثل شعبي باللهجة الشاوية لمنطقة الأوراس:

المثل الأول: " ما يعجبك نوار الدفلى حتى اتشوف الظلايل وما يعجبك زين الطفلة حتى تشوف الفعاليل "

إن الربط بين نبات الدفلى والمرأة في هذا المثل لم يكن اعتباطيا، بل هو خطاب اجتماعي نابع من الميثولوجيا الأمازيغية التي نجدها تسللت لوجدان العربي فوظفها في رسائله التربوية التي مرر فيها فكره ومفهومه عن قضاياها الاجتماعية، فنجد في هذا المثل قد ربط بين المرأة ونبات الدفلى أو ما يعرف باللهجة الأمازيغية "أليلي"، وهنا نجد تجلي العنصر الأسطوري الذي له ارتباط وثيق بالميث الأنتروبوغوني "نشأة الإنسان" الذي يتحدث عن أصل الإنسان والذي ورد فيه: "أنه في الأزمنة البدئية، كان جني يعيش وحيدا ، قرصت الريح مرة عينيه، فأسالت دموعا كبيرة على وجنتيه، تحولت إذ سقطت على الأرض إلى نبتة الدفلى (أليلي)، ومن هذه النبتة تولدت امرأة، فتزوج بها الجني فأنجبا الرجال والنساء الأوائل في هذا العالم. وفي يوم الزفاف هبت رياح محملة ببذور تحولت حين تناثرت على الأرض إلى أشجار زيتون نبت في ظلها الشعير والفضة"⁽²⁶⁾، يظهر في هذا الميث أن أصل المرأة يرجع إلى نبات الدفلى

ورمزية هذا النبات تظهر من خلال معنى كلمة أليلي في الثقافة الأمازيغية التي جاء فيها بأنها: "لفظة مزدوجة القيمة تزاوح بين مفهومين متعارضين (الجمال والمرارة)، جمال المرأة وخطر الحب، لذا يستعمل رمز أليلي كثيرا في الشعر الأمازيغي في كل المناطق تقريبا لأنه يقدم صورة ثنائية عن الحب تتراوح بين انجذاب ونفور، بين لذة وخطر"⁽²⁷⁾، فبين جمال الدفلى، ومرارتها، وعدم نفعها، وبين جمال المرأة وعدم نفعها كزوجة وربة بيت، نجد المثل الشعبي قد استغل هذه الازدواجية كرسالة تحذيرية أو "كإيديولوجيا ذكورية لاحتواء هذا الامتياز النسوي"⁽²⁸⁾، نقصد هنا جمال المرأة، السلاح الذي لا ينجو من إصاباته أحد فهو يشكل "رأس مال رمزي"⁽²⁹⁾، بالنسبة للمرأة المقبلة على الزواج، وهو امتياز قد توظفه على مستوى السلطة بما يهدد سيادة الرجل وتفوقه، وهنا تحديدا وجه خطورته"⁽³⁰⁾، وهذه الازدواجية نجدها أيضا في المثل البجاوي (نسبة لمنطقة بجاية) القائل: "عمي يفوح، اجلابيس زيظ" وهذا المثل معناه "عمي مر، لباسه حلو" ونجده أيضا في المثل القائل "سوفل يشيح برقم، داخل يركا" ومعناه يتوافق والمثل القائل: "اللي مزين من برا واش حوالك من داخل".

إن هذا التوظيف الذي استوحاه المخيال الشعبي من "تاريخ افتراضي نسجت واقعيته كائنات عليا كما كان يتوقعها الإنسان القديم. لكن هذه الواقعية الافتراضية رغم صمودها الطويل في الأيام الخوالي، إلا أنها اصطدمت بواقع آخر طرأ عليها وعلى الجانب العقلي والروحي للإنسان، مما أجبرها على التنكر والتخفي تحت مسوغات مغايرة لبدايتها، وأفقدتها هذا الصدام الهائلة المقدسة الدائرة بها (...). إلا أنها لم تفقد مدلولها حين مرادتها على نفسها. ومن ثم أصبحت هذه (الرواسب) دالة يمكن أن ترشدنا إلى حقيقتها بالاستعانة ببعض المعارف الأخرى"⁽³¹⁾ لقد صرح المثل الشعبي مباشرة بالعلاقة التي تربط بين نبات الدفلى والمرأة، (جمال/خطورة)، (جمال/مرارة)، ونظرا لكون التجلي جاء صريحا، كانت مطاوعة الرمز الأسطوري أقل امتدادا، وبالتالي الإشعاع كان خافتا، وذلك من خلال تقنية التشابه والتماثل، فالمثل الشعبي بين تماثلا وتشابها بين ما جاء في الميث الأنثروبوغوني الذي نسب أصل المرأة إلى الدفلى أليلي، وبين ما جاء به المثل الشعبي الذي يظهر فيه التشابه في ارتباط جمال الدفلى الذي يخفي وراءه مرارة خادعة، الذي تحول "إلى رمز للمرأة التي تستثمر جمالها الظاهري وجنسائيتها للإيقاع بالرجل وإغوائه"⁽³²⁾، فالمجتمع الذي اصطلح على هذا المثل توافق أيضا على مدلوليته، التي وإن كانت قد تنكرت وتخفت تحت أفتحة ثقافية مغايرة إلا أنها ظلت تحتوي على "معجم دلالي يعين على فك رموز الظواهر الاجتماعية، ويعطي قيمة أكثر للمدلولات الثقافية والأنثروبولوجية"⁽³³⁾، المبنوثة فيه والتي تظهر خفية في بعض الأمثال الشعبية.

أما عن المثل الثاني القائل: "مومي هاذ ينين، آر إيمانس يفوح، أنيغ باب العقل الرايتس يروح، أنيغ الخير نتمورث يتزحزوح" ويمكننا أن نترجمه إلى النحو التالي:

"ماذا سأقول لك، الأسد تفوح من فمه رائحة كريهة، وصاحب العقل جن، وخير البيت انتهى"، ويضرب هذا المثل في مناطق الأوراس للتعبير عن العام الذي يكون فيه الجفاف. فالفلاح يعبر عن المصيبة التي حلت به باستعماله لهذا المثل، أين يربطون بين الأسد (ملك الغابة) والإنسان ذي العقل الرصين والأرض الجواد، كل هذه الأمور عندما تزول لا يبقى شيء، وتتماثل هذه القوى مع بعضها أثناء ضعفها، فالمثل الشعبي هنا وظف ثلاثة أقطاب عرضت أصل المجتمع، والتحول الذي طرأ عليه، فالأسد يمثل الطبيعة المتوحشة أي الغابة فضاء خارجي، والإنسان "المجتمع الإنساني"، والبيت طبيعة مدجنة فضاء داخلي يمثل العالم المتمدن، فالإنسان الذي يتوسط الطبيعة المتوحشة والتي مثلها الأسد في المثل الشعبي، والطبيعة المدجنة والتي مثلها البيت، يجسد رفض المخيال الجمعي للمناطق الزراعية والفلاحية الفصل الثقافي والاجتماعي بين الفضائين، فالمجتمع المؤسس والذي يمكن الإشارة إليه بما بعد بناء البيوت

(المجتمع الأيوسي)، والمجتمع الذي تمثله الطبيعة المتوحشة (المجتمع الأموسي)، مثل رهانا اجتماعيا وتناغما، لكن هذا التناغم نجده يتزعزع من خلال العبارة الاستهلاكية التي تلت صيغة السؤال غير الطلبي، فالمثل الشعبي وظف الرمز الأسطوري الأسد وشدقه كريه الرائحة، كإيحاء دلالي منحه العنصر الأسطوري الموظف، فالأسد الذي استوقفنا رمزيتته عند مدلولات عديدة تضمنت الشجاعة والنبيل، والشر والقوة، كانت تربطه بالإنسان صداقة كبيرة، إلا أن هذه الصداقة انتهت بعداوة حولته من حام للإنسان إلى مفترس له، كما جاء في نص الأسطورة التي تقول: "كان الإنسان والأسد في الأزمنة الأولى صديقين، وكان الأسد يسدي خدمات جليلة وكبرى للإنسان ورغم ذلك، فإن هذا الأخير يتوجه إليه يوميا فيقول (كولشي إيغوداك أعمي إيزم، غاس أقمو إيرصوص اك)، كل شيء فيك حسن يا عمي الأسد، إلا شذقك فهو كرية الرائحة"⁽³⁴⁾، إن الرابط المنطقي الذي يمكن الاستناد له في ربطنا هذا المثل بالميث الأمازيغي، هو أن إمكانية اشتمام رائحة الفم لا تكون إلا من مسافة قريبة، وهو ما ينسجم وما تم رصده في هذا الميث الفائل بصداقة الإنسان والأسد فتقارب المسافة بينهما سمح للإنسان باقتراف هذا الخطأ البشري الذي أوجد عداوة لا تنتهي، وخلق مسافة بينه وبين هذا الحيوان الذي كان في زمن الميثولوجيا إنسانا تحول بعدما تمرد على المجتمع المؤسس وقرر الإبقاء على طبيعته المتوحشة البرية لذا أبعد نحو الغابة، " وتحول الرجل المتوحش إلى أول أسد" إيزم أمزوارو"⁽³⁵⁾.

إنه ومن خلال تقنية العبارة الاستهلاكية استطعنا ربط الصورة التي وظفها المثل الشعبي، وبين ما هو متوارث من خلفيات أسطورية، طبعت في الذاكرة الشعبية كمسلمات فسرت لهم ظواهر الطبيعة وموجوداتها، لذا يمكن القول إن مطاوعة العنصر الأسطوري (الأسد) جاءت متقلصة، بفعل التجلي الصريح، والإشعاع كان باهتا، إلا أنه خلق مجالا لتعدد القراءة، والتي أضفت جمالية فنية استطاع المثل الشعبي على الرغم من قصر مادته اللغوية من احتواء هذا الفضاء الدلالي المستعار من واقع اجتماعي تلبس فيه" الديني بالأسطوري والمقدس بالخرافي، والواقعي بالعجائبي، والمتخيل بالديني، مما يضفي نظرة التعالي والمنافحة"⁽³⁶⁾، إن هذا التناغم بين ما كان عليه الفكر الإنساني في القديم نجده يمد جذوره ليتسلل إلى عالم الفكر والحضارة ليجد مكانا له بين الطبقات الاجتماعية في أشكال متنوعة، حاولنا الكشف عنها في المثل الشعبي، الذي يبقى من أقوى وأكثر الأشكال التعبيرية الشعبية المتداولة في حياتنا اليومية، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لما تملكه الأمثال الشعبية من خصوصيات وميزات المطاوعة وامتصاص الأشكال التعبيرية الأخرى من قصة وأسطورة وشعر، فكم من نص من تلك الأشكال التعبيرية المعروفة بطولها اختزلت في مثل شعبي تداولته الألسن وحفظته الذاكرة وتوارثته الأجيال؟.

III- الخاتمة:

إننا بعد هذه الدراسة المتتبعة لتجليات الأسطورة في الأمثال الشعبية بمنطقة الشرق الجزائري، والتي حاولنا من خلالها تبين بعض مظاهر الأسطورة التي تحولت من نصها الأصلي إلى نص مثلي يحتفظ ببعض الأفكار والفلسفات التصورية للأسطورة وبخاصة منها التعليلية والاعتقادية، وقد سمحت لنا الدراسة باستنباط مجموعة من النتائج نذكر منها:

- 1- تمثل الأسطورة وبخاصة أسطور التعليل وأسطورة الاعتقاد أكثر المظاهر تجليا في الأمثلة الشعبية بمنطقة الشرق الجزائري.

- 2- فقدان الكثير من الأساطير عن مميزاتها الشكلية والمضمونية بفعل تمازج الثقافة الأمازيغية في منطقة الشرق الجزائري بالثقافة العربية.
- 3- تحول الكثير من المضامين والنصوص الأسطورية إلى أمثال شعبية.
- 4- المثل الشعبي من خلال استخدامه لرموز مشخصة ولصور حسية، كانت وسيلته للتعبير عن المعنى المستتر، الذي يمكن فهمه من خلال العلاقات القائمة بين الرموز أو التصورات ذات الدلالات المشخصة والفكر الأسطوري الذي وجدناه كأحد الأنساق الرمزية المتداولة داخل مجتمعنا الجزائري عامة ومنطقة الشرق الجزائري خاصة.
- 5- الأسطورة طريقة تفكير استطاعت أن تتغلغل داخل هيكل المجتمع المتمدن والمتحضر، ويتجلى ذلك من خلال التوظيفات الجلية أو المتوارية لعناصر أسطورية داخل أشكال التعبير المختلفة والمثل الشعبي أحد تمثلاتها.
- 6- إن فهم أنماط الأداء الشعبي فهما حقيقيا وواقيا يكون من خلال دراسة الوحدات و العناصر الرمزية المؤلفة له، دراسة تتبع تمظهرات وتجليات الأسطورة أو عناصرها في الأمثال الشعبية بمنطقة الشرق الجزائري.
- 7- ميزة المطاوعة للأمثال الشعبية جعلتها تمتص النصوص الأسطورية وتعيد صياغتها وفق الحياة الثقافية والدينية والاجتماعية لسكانه منطقة الشرق الجزائري بتنوعها العرقي الأمازيغي والعربي.

IV-المراجع:

- 1- ابن منظور، لسان العرب، مادة "سطر"، حرف الراء، فصل السين المهملة، دار صادر، بيروت، مج4، دت، ص: 363
- 2- م . ن، ص: 364
- 3- ابن فارس : مقاييس اللغة، مادة "سطر" ، كتاب السين، ص: 72-73
- 4- سورة القلم، الآية "01"
- 5- سورة الأنعام، الآية "25"
- 6- سورة الأنفال، الآية "31"
- 7- سورة النحل، الآية "24"
- 8- سورة المؤمنون، الآية "83"
- 9- سورة الفرقان، الآية "5"
- 10- سورة الأحقاف، الآية "17"
- 11- محمد عجينة: موسوعة أساطير العرب، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1994، ص:17.
- 12- فراس السطح : مغامرة العقل الأولى دراسة في الأسطورة، سوريا " ارض الرافدين" ، دمشق، ط11، 1988، ص: 12
- 13- la rousse : dictionnaire de français 2008 p 281
- 14- [https://plqy-google.com/store/opps.ox ford dictionary](https://plqy-google.com/store/opps.ox)
- 15- ميرسيا الياد : مظاهر الأسطورة ، ترد نهاد خياطة ، دار كنعان للدراسات و النشر، ط1، 1991، ص: 10
- 16- فراس السواح : الأسطورة و المعنى – دراسات في الميثولوجيا و الديانات الشرقية – دار علاء الدين للنشر و التوزيع و الترجمة – دمشق، ط2، 2001، ص:8
- 17- محمد عبد الرحمن يونس: الأسطورة مصادرها وبعض المظاهر السلبية في توظيفها، دار الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2014، ص:47.
- 18- قسم الدراسات و البحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية: الأسطورة

- توثيق حضاري، سلسلة عندما نطق السراة، دار لكيوان للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، 2009، ص:24.
- 19- محمد معيد خان: الأساطير العربية قبل الإسلام، مطبعة لجنة التأليف الترجمة و النشر، القاهرة، ط1، 1937، ص: 7- 8.
- 20- ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر، بيروت، لبنان، مج11، مادة-مثل، ص:611.
- 21- ابن فارس : مقاييس اللغة ، تحقيق:عبد السلام محمد هارون ،مادة - مثل-، دار الفكر،مج5، ص:296-297.
- 22- أحمد رشدي صالح : فنون الأدب الشعبي ،دار الفكر ،ط1، 1956، ج2، ص:6.
- 23- أحمد أمين : قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، ص61.
- 24- نبيلة إبراهيم : أشكال التعبير في الأدب الشعبي: ،دار نهضة مصر ، القاهرة، د ط، د ت، ص: 139.
- 25- م، ن، ن، ص: 140.
- 26- محمد أسوس : كوكرا في الميثولوجيا الأمازيغية ،المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية،المغرب، ط1، 2008، ص:180.
- 27- م، ن، ص: 181.
- 28- م، ن، ص: 182.
- 29- م، ن، ص، ن
- 30- م، س، ن، ص، ن.
- 31- أحمد عزوي: الرمز ودلالته في القصة الشعبية الجزائرية ،دار ميم للنشر- الجزائر-، ط1، د ت، ص:47-48.
- 32- محمد أسوس: كوكرا في الميثولوجيا الأمازيغية، ص: 181.
- 33- الساسي بن محمد الضيفاوي: ميثولوجيا آلهة العرب قبل الإسلام، المركز الثقافي العربي للنشر، الدار البيضاء، الرباط، ط1، 2014، ص:26.
- 34- محمد أسوس: كوكرا في الميثولوجيا الأمازيغية، ص:207
- 35- م ، ن، ص:206.
- 36-الساسبي بن محمد الضيفاوي: ميثولوجيا آلهة العرب قبل الإسلام، ص:162